# المحاضرة السابعة: الشعر العذري والشعر العمري

**تمهيد:**

يعد شعر الغزل من الفنون الشعرية القديمة في الشعر العربي القديم، لا تكاد تخلو منه قصيدة جاهلية أو إسلامية أو أموية أو عباسية؛ ويؤكد على الجندي هذا التواجد لفن الغزل في معرض حديثه عن الأغراض الشعرية في العصر الجاهلي، بقوله: "وأما الغزل. فقد كان فنًّا مطروقًا من جميع الشعراء. تغنوا به جميعًا. فاتخذوه حلية لقصائدهم. وزينة لأشعارهم، إذ جعلوه افتتاحيتهم على الدوام، كأنما كان ألذ المشهيات يتناولها الآكل في بدء طعامه، لتتفتح شهيته، وتزداد رغبته في الطعام، فيقبل على الأكل بشغف، ويحس فيه اللذة والمتعة.إن الإفتتاحية –بجميع أنواعها وبخاصة الغزلية– للقصيدة كالمقدمة الموسيقية للأغنية: توقظ مشاعر الشاعر والمغني، وتبعث في كل منها النشاط الروحي الفني، فيسري في جوانحه مسرى الدم في شرايين جسمه وتلهب أحاسيسه شيئًا فشيئًا إلى أن يصل إلى أوج الانفعال"[1].

**مفهوم الغزل:**

**لغة:**

وقد تم تقسيم شعر الغزل في العصر الأموي إلى اتجاهات متعددة؛ حيث قسمه الدكتور طه حسين إلى ثلاثة أقسام مختلفة:

– **القسم الأول:** غزل العذريين، الذين كانوا يتغنون في شعرهم بهذا الحب الأفلاطوني العفيف، كجميل وعروة وقيس بن ذريح والمجنون (مجنون ليلي).

– **القسم الثاني:** غزل الإباحيين، (المحققين) وهم الذين كانوا يتغنون بالحب ولذاته العملية كما يفهمها الناس جميعا، وزعيم هؤلاء عمر بن أبي ربيعة.

– **القسم الثالث:** الغزل العادي الذي ليس هو في حقيقة الأمر إلا استمرارا للغزل القديم المألوف أيام الجاهليين، أريد به الغزل الذي لا يقصد لذاته كما يقول أصحاب المنطق، وإنما يتخذ وسيلة إلى غيره من فنون الشعر؛ إلى المدح والهجاء والوصف، وأريد به هذا الغزل الذي كان الجاهليون يبتدئون به قصائدهم والذي ظل الإسلاميون يبتدئون به قصائدهم إلى اليوم[2]. وأما الدكتور حسين القصي فيقسم شعر الغزل في العصر الأموي إلى مدارس أربعة، أقتصر على ذكر مدرستين فقط هما؛ مدرسة الغزل العمري (الحضري)، ومدرسة الغزل العذري:

**مدرسة الغزل الحضري:**

ويحدد نطاقه الجغرافي بقوله:" الغزل الحضري الذي شاع في الحجاز (مكة والمدينة)، بزعامة عمر بن أبي ربيعة. فقد أصبحت مكة مدينة متحضرة بعدما أفاء عليها الإسلام بالمال الوفير . وكان من أثر

---

[1]– علي الجندي: في تاريخ الأدب الجاهلي، ط01، دار غريب للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص413.

[2]– طه حسين: حديث الأربعاء، ط14، دار المعارف، القاهرة، مصر،1925، ص 187.

ذلك المال العظيم الذي أصاب الناس في الحجاز، أن يدعوهم إلى الأخذ بأسباب الحضارة والترف من كل جانب. فكان الاهتمام بالموسيقى والغناء والشعر تعويضا عن الاهتمام بالسياسة والانشغال بها" [1].

ويتحدث عن أسباب شيوع الغزل واللهو في منطقة الحجاز، فيقول:" ومما لا شك فيه أن الغزل الحضري كان نموه طبيعيا في تلك الحجور الترفة الناعمة، التي تتطور وتتحضر تحت تأثير العناصر الأجنبية الوافدة إليها مع الجواري الروميات والفارسيات. فقد شاعت أحاديث الصبابة والغزل، وشاع معها كثير من اللهو. وأخذ يسود المجتمع ضرب من الحرية في حياة الرجل والمرأة"[2]؛ فكان الفتح الإسلامي لبلاد الروم والفرس، من الأسباب التي مهدت الطريق للشعراء للنظم في الغزل بكل حرية. ويشرح الدكتور شوقي ضيف ملامح التغيير الاجتماعي في مكة والمدينة:" رأينا فى حديثنا عن مراكز الشعر لهذا العصر – يعني العصر الأموي– كيف تحضرت المدينة ومكة وغرقتا إلى آذانهما في الرّفه والنعيم، بتأثير ما صبّ فيهما من أموال الفتوح والرقيق الأجنبى، وكيف أخذ هذا الرقيق يسدّ حاجة الشباب المتعطّل من اللهو بما كان يقدّم له من غناء وموسيقى، وقد استطاع من خلال ملاءمته بين الغناء العربى القديم وما ثقفه من غناء الفرس والروم أن ينفذ إلى نظرية جديدة وضع على أساسها الألحان والأنغام التى وقّع عليها الشعر، وظلت هذه النظرية مسيطرة على غنائنا العربى قرونا طويلة"[3].

ويضيف الدكتور قصي الحسين سببا سياسيا، هو عدم اشتغال أهل الحجاز بالسياسة، فيقول:"وإذا حجرت السياسة الأموية على أهل الحجاز، وحظرت عليهم الاشتغال بالسياسة، انصرف الشباب المتعطل للأخذ بفنون اللهو والإقبال على حياة الدعة والمرح، والانشغال بالإنشاد والغناء في المجالس والدور والمتنزهات"[4].

وقد مهد هذا المناخ المترف لظهور شعر الغزل الحضري، ويتحدث الدكتور قصي الحسين على هذا التمهيد للغزل في قوله: "إزاء ذلك كله، كان شعر الغزل يأخذ طريقه إلى الحرية بعدما حجر عليه طيلة الفترة الصحابية. ونهض عمر بن أبي ربيعة وشعراء آخرون ، يحيون تقاليد الشاعر العربي الأول وشاعر الغزل الأول عند العرب امرأ القيس بن حجر، خصوصاً في قصيدة الغزل"[5]

**أشهر أعلام الغزل الحضري:**

**عمر بن أبي ربيعة:**

---

[1]– قصي: الحسين، تاريخ الأدب العربي العصر الأموي، ط01، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1998، ص 173.

[2]– قصي: الحسين، تاريخ الأدب العربي العصر الأموي، ط01، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1998، ص 174.

[3]– شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي،ط7، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1963،ج2، ص347.

[4]– قصي: الحسين، ط01، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1998، ص 174.

[5]– قصي: الحسين، ط01، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1998، ص 174.

هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. وأمّ عمر مولدة من مولّدات اليمن، اسمها مج، ومن شعره في الغزل رائيته الشهيرة: [1]

أمــنْ آل نعــمٍ أنــتَ غــادٍ فمبكِــرُ ... غــــداةَ غــــدٍ أو رائــــحٌ فمهجّــــرُ
بحاجــةِ نفــسٍ لــم تقــلْ فــي جوابهــا ... فتبلـــغَ عـــذراً والمقالـــةُ تعـــذرُ
نهــيمُ إلــى نعــمٍ فــلا الشَّــملُ جــامعٌ ... ولا الحبــلُ موصــولٌ ولا القلــبٌ مقصــر
ولا قــربُ نعــمٍ إنْ دنــتْ لــك نــافعٌ ... ولا نأيُهــا يســلِي ولا أنــتَ تصــبِرُ
وأخــرَى أتــتْ مــن دونِ نعــمٍ ومثْلهــا ... نهــى ذا النُّهَــى لــو ترعــوِي أو تفَكِّــرُ
إذا زرتُ نعمــاً لــم يــزلْ ذو قرابــةٍ ... لهـــا كلّمـــا لاقيتهـــا يتنمّـــرُ
عزيــزٌ عليــهِ أنْ ألــمَّ ببيتِهــا ... مســرُّ لــيَ الشّــحناءَ للــبغضِ مظهِــرُ
ألِكنــي إليْهــا بالسّــلامِ فإنَّــه ... يشـــهَّرُ إلمـــامي بهـــا وينكَّـــرُ
علــى أنّهــا قالــتْ غــداةَ لقيتُهــا ... بمـــدفعِ أكنـــانٍ أهـــذا المشـــهّرُ
قفــي فــانظري يــا أســمَ هــلْ تعرفينَــهُ ... أهــذا المغيــريُّ الــذي كــانَ يــذكرُ
أهــذا الّــذي أطريــتِ نعتــاً فلــمْ أكــدْ ... وعيشــكِ أنســاهُ إلــى يــوم أقبَــرُ
لــئنْ كــانَ إيّــاهُ لقــدْ حــالَ بعــدَنا ... عــن العهــدِ والإنســانُ قــد يتغيّــرُ
فقالــتْ نعــمْ لا شــكَّ غيّــرَ لونَــهُ ... سُــرى اللّيــلِ يحيْــي نصَّــهُ والتَّهجّــرُ
رأتْ رجــلاً أمّــا إذا الشَّــمسُ عارضــتْ ... فيضـــحَى وأمّـــا بالعشـــيِّ فيحضـــرُ
أخــا ســفرٍ جــوّابَ أرضٍ تقاذفــتْ ... بــه فلــواتٌ فهــوَ أشــعثُ أغبــرُ
قليــلٌ علــى ظهــرِ المطيّــةِ ظلّــهُ ... ســوى مــا نفــى عنــهُ الــرّداءُ المحَبّــرُ
وأعجبَهــا مــن عيشِــها ظــلُّ غرفــةٍ ... وريّــانُ ملتــفُّ الحــدائقِ أنضــرُ
ووالٍ كفاهــا كــلَّ شــيءْ يهمُّهــا ... فليســتْ لشــيءْ آخــرَ الليــلِ تســهَر
وليلــةِ ذي دوران جشّــمني السُّــرَى ... وقــد يجشــمُ الهــولَ المحــبُّ المغــرِّرُ
فبــتُّ رقيبــاً للرّفــاقِ علــى شــفا ... أراقــبُ مــنهم مــن يطــوفُ وأنظــرُ
إلــيهمْ متــى يســتأخذِ النــومُ فــيهمِ ... ولــي مجلــسٌ لــولا اللُّبانــةُ وأوعــرُ
وبانــتْ قلوصــي بــالعراءِ ورحلُهــا ... لطــارقِ ليــلٍ أو لمــنْ جــاءَ معــورُ
فبــتُّ أنــاجِي الــنَّفسَ أيــنَ خباؤُهــا ... وإنّــي لمــا تــأتِي مــنَ الأمــرِ مصــدَرُ
فــدلَّ عليهــا القلــبَ ريّــاً عرفتُهــا ... لهــا وهــوَى الحــبِّ الــذي كــانَ يظهَــرُ

---

[1]– عمرو بن أبي ربيعة: ديوان عمر بن أبي ربيعة، تح ، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت،لبنان، ص64. .

فلمّـا فقـدتُ الصَّـوتَ مـنهُمْ وأطفئـتْ ... مصـابيحُ شـبَّتْ بالعِشـاءِ وأنـؤرُ

وغـابَ قميْـرٌ كنـتُ أهـوَى غيوبَـهُ ... وروّحَ رعيـانٌ ونـوَّمَ سـمَّرُ

ونفّضـتُ عنّـي النّـومَ أقبلـتُ مشـية ... الحبـابِ ولكنّـي مـن القـومِ أزورُ

فحيّيـتُ إذْ فاجأتُهـا فتواعلـتْ ... وكـادتْ بمرفـوعِ التّحيّـةِ تجهـرُ

فقالـتْ وعضّـتْ بالبنـانِ فضـحْتنِي ... وأنـتَ امـرؤٌ ميسـور أمـرِكَ أعسَـر

أريتـكَ إذْ هنَّـا عليـكَ ألـم تخـفْ ... رقيبـاً وحـولِي مـن عـدوِّكَ حضَّـرُ

فقلـتُ كـذاكَ الحـبُّ قـد يحمـلُ الفتَـى ... علـى الهـولِ حتّـى يسـتقادَ فينحـرُ

فـو اللهِ مـا أدّري أتعجيـلُ راحـةٍ ... سـرتْ بـكَ أم قـدْ نـامَ مـنْ كنـتَ تحـذرُ

فقلـتُ لهـا بـل قـادَني الحـبُّ والهَـوى ... إليـكِ ومـا نفـسٌ مـن النّـاسِ يشـعُرُ

فقالـتْ وقـدْ لانـتْ وأفـرخَ روعُهـا ... كـلاكَ بحفـظٍ ربُّـكَ المتكَبِّـرُ

فأنـتَ أبـا الخطّـاب غيـرُ منـازعٍ ... علـيَّ أميـرٌ مـا مكثـتُ مـؤمَّرُ

فبـتُّ قريـرَ العـينِ أعطيـتُ حـاجتِي ... أقبِّـلُ فاهـا فـي الخـلاء فـأكثرُ

فيـا لـك مـن ليـلٍ تقاصـرَ طولُـهُ ... ومـا كـانَ ليلِـي قبـلَ ذلـكَ يقصـرُ

ويالـكَ مـن ملهـىً هنـاكَ ومجلـسٍ ... لنـا لـم يكـدِّرْهُ علينـا مكـدِّرُ

يمـجُّ ذكـيَّ المسـكِ منهـا مفلّـج ... نقـيُّ الثنايـا ذو غـروبٍ مؤشَّـرُ

يـرفُّ إذا تفتـرُّ عنـهُ كأنّـهُ ... حصَـى بـردٍ أو أقحـوانٍ منـوّرُ

وترنـو بعينيهـا إلـيَّ كمـا رَنـا ... إلـى ظبيـةٍ وسـطَ الخميلـةِ جـؤذَرُ

فلمّـا تقضّـى اللّيـلُ إلاَّ أقلُّـهُ ... وكـادتْ تـوالِي نجمـهِ تتغـوَّرُ

أشـارتْ بـأنَّ الحـيَّ قـدْ حـانَ مـنهمُ ... هبـوبٌ ولكـنْ موعـدٌ لـكَ عـزورُ

فمـا راعنـي إلاَّ منـادٍ تحمّلُـوا ... وقـدْ شُـقَّ معـروفٌ مـن الصُّـبحِ أشـقَرُ

فلمّـا رأتْ مـن قـدْ تنبـه مـنهمُ ... وأيقـاظهُم قالـت أشـرْ كيـفَ تـأمُرُ

فقلـتُ أبـاديهمْ فأمّـا أفـوتُهمْ ... وأمّـا ينـالُ السّـيفُ ثـأراً فيثـأرُ

فقالـتْ أتحقيـقٌ كمـا قـال كاشـحٌ ... علينـا وتصـديقٌ لمـا كـان يـؤثرُ

فـإنْ كـانَ مـا لا بـدَّ منـهُ فغيـرُهُ ... مـن الأمـرِ أدنَـى للخفـاءِ وأسـتَرُ

أقـصُّ علـى أختـيَّ بـدءَ حـديثنا ... ومـا بـي مـن أنْ تعلمـا متـأخَّرُ

لعلَّهمـا أنْ تبغيـا لـكَ مخرَجـاً ... وأنْ ترحُبـا سِـرباً بمـا كنـتُ أحصـرُ

فقامـتْ كئيبـاً لـيسَ فـي وجهِهـا دم ... مـنَ الحـزنِ تـدنِي عبـرةً تتحـدَّرُ

فقالـتْ لأختيْهـا أعينـا علـى فتـىً ... أتـى زائـراً والأمـرُ للأمـرِ يقـدَرُ

فأقبلَتـا فارتاعَتـا ثـمَّ قالَتـا ... أقلّـي عليـكِ اللّـومَ فالخطـبُ أيسَـرُ

فقالتْ لهـا الصـغرَى سـأعطيهِ مطرَفـي ودرعِـي وهـذا البـرْدَ إنْ كـانَ يحـذرُ
يقـومُ فيمشـي بينَنـا متنكّـراً فـلا سُـرنا يفشُـو ولا هـوَ يظهَـرُ
فكـانَ مجنّـي دونَ مـن كنـتُ أتّقـي ثـلاثُ شـخوصٍ كاعبـانِ ومعصـرُ
فلمّـا أجزْنـا سـاحةَ الحـيِّ قلـنَ لِـي أمـا تتّقِـي الأعـداءَ واللّيـلُ مقمـرُ
وقلـنَ أهـذا دأبـكَ الـدَّهرَ سـادِراً أمـا تسـتحي أو ترعَـوِي أو تفكّـرُ
إذا جئـتَ فـامنحْ طـرفَ عينيـكَ غيرَنـا لكـيْ يحسَـبُوا أن الهـوَى حيـثُ تبصِـرُ
علـى أنّنـي قـدْ قلـتُ يـا نعـمُ قولـة لهـا والعتـاقُ الأرحبيَّـةُ تزجَـرُ
هنيئـاً لبعـلِ العامريّـةِ نشـرُها اللّذيـذ وريّاهـا الّـذي أتـذكَّرُ
فقمـتُ إلـى حـرفٍ تخـوَّنَ نيَّهـا سـرَى اللّيـلِ حتّـى لحمُهـا يتحسَّـرُ
وحبسِـي علـى الحاجـاتِ حتّـى كأنّهـا بليَّـةُ لـوحٍ أو شـجارٌ ومؤسَّـرُ
ومـاءٍ بمومـاةٍ قليـلٍ أنيسُـهُ بسـابسُ لـمْ يحدثْ بهـا الصَّيفُ محضرُ
بـه مبتنـىً للعنكبـوتِ كأنَّـهُ علـى شـرفِ الأرجـاءِ خـامٌ منشَّـرُ
وردتُ ومـا أدرِي أمـا بعـدَ مـوردِي مـن اللّيـلِ أم مـا قـدْ مضَـى منـهُ أكثـرُ
فطافـتْ بـه مغـلاةُ أرضٍ تخالُهـا إذا التفتـتْ مجنونـةً حـينَ تنظُـرُ
تنـازعُنِي حرصـاً علـى المـاءِ رأسَـها ومـن دونِ مـا تهـوَى قليـبٌ معـوَّرُ
محاولـةً للـوردِ لـولا زمامُهـا وجـذبِي لهـا كانـتْ مـراراً تكسَّـرُ
فلمّـا رأيـتُ الضـرَّ منهـا وأنّنـي ببلـدةِ أرضٍ لـيسَ فيهـا معصَّـرُ
قصـرتُ لهـا مـن جانـبِ الحـوضِ منشـأ صـغيراً كقيـدِ الشِّـبر أو هـوَ أصـغرُ
إذا شـرعَتْ فيـهِ فلـيْسَ لمُلتقـى مشـافِرِها منـهُ قِـدَى الكـفِّ مسـأرُ
ولا دلـوَ إلاَّ القعـبُ كـانَ رشـاءهُ إلـى المـاءِ نسـعٌ والجـديلُ المظفَّـرُ
فسـافتْ ومـا عافـتْ ومـا صـدَّ شُـربَها عـن الـرِّيِّ مطـروقٌ مـن المـاءِ أكـدَرُ

وقد اشتهرت هذه القصيدة شهرة كبيرة، ومما زادها شهرة حفظ ابن عباس لها، وهو حبر الأمة في العلم، فقد روي عنه أن نافع بن الأزرق جاءه من العراق ليسأله عن بعض مسائل العلم فتشاغل عنه مع الشاعر عمر بن أبي ربيعه يسمع رائيته، حتى حفظها كلها[1] . وعن النزعة القصصية في شعر عمر بن أبي ربيعة؛ فهذه القصيدة خير ما يتمثل به في هذا المقام؛ حيث اشتملت على جميع مقومات السرد القصصي الشعري. أثبت بهذا الأسلوب مقدرته في بناء قصيدته القصصية ، وكان ماهراً أكثر من أستاذه

[1]–أبو الطيب محمد صديق بن حسن القنوجي البخاري: قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، تح.محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، (د.ت)، ص38 .

امرئ القيس، قد لايصل إلى مستوى حواره الشعري أحد في الشعر العربي على مر العصور . فمن قصيدته الرائية، بل في حواره مع نعم أكثر من عشرين بيتاً ، أساسها قول الشاعر أو صاحبته أو أختيها ، فبعد أن يدخل خباء صاحبته:(نُعْمَ) . يقول:

فحيّيـــــتُ إذْ فاجأتُهـــــا فتولهـــــتْ وكـــادتْ بمرفـــوعِ التّحيّـــةِ تجهـــرُ
فقالـــتْ وعضّـــتْ بالبنـــانِ فضـــحْتنِي وأنـــتَ امـــرؤٌ ميســـور أمـــرِكَ أعسَـــر

ويذكر سبب زيارته لها وردها على ذلك:

فقلـتُ لهـا بـل قـادَني الحـبُّ والهَـوى إليـكِ ومـا نفـسٌ مـن النّـاسِ يشـعُرُ
فقالـــتْ وقـــدْ لانـــتْ وأفـــرخَ روعُهـــا كـــلاكَ بحفـــظٍ ربُّـــكَ المتكَبِّـــرُ

وعندما ترى الخطر قد لاح مع هبوب الحي يصبح الحوار أكثر جدية:

فلمّـــا رأتْ مـــن قـــدْ تنبـــه مـــنهمُ وأيقـــاظهُم قالـــت أشـــرْ كيـــفَ تـــأمُرُ
فقلـــتُ أبـــاديهمْ فأمّـــا أفـــوتُهمْ وأمّـــا ينـــالُ السّـــيفُ ثـــأراً فيثـــأرُ
فقالـــتْ أتحقيـــقٌ كمـــا قـــال كاشـــحٌ علينـــا وتصـــديقٌ لمـــا كـــان يـــؤثرُ

ويعود الحوار ليصور موقفاً جديداً بين نعم وبين أختيها حاملاً في طياته الحل للمأزق الذي وقع فيه العاشقان:

فقالـــتْ لأختيْهـــا أعينـــا علـــى فتـــىً أتـــى زائـــراً والأمـــرُ للأمـــرِ يقـــدَرُ
فأقبلَتـــا فارتاعَتـــا ثـــمَّ قالَتـــا أقلّـــي عليـــكِ اللّـــومَ فالخطـــبُ أيسَـــرُ
فقالـتْ لهـا الصـغرَى سـأعطيهِ مطرَفـي ودرعِـــي وهـــذا البـــرْدَ إنْ كـــانَ يحـــذرُ
يقـــومُ فيمشـــي بينَنـــا متنكّـــراً فـــلا سُّـــرنا يفشُـــو ولا هـــوَ يظهَـــرُ

ويتحول المشهد لينقل جانباً آخر يكمل اللوحة القصصية ضمن حوار بين الأختين والشاعر الزائر:

وقلـــنَ أهـــذا دأبـــكَ الـــدَّهرَ ســـادِراً أمـــا تســـتحي أو ترعَـــوِي أو تفكِّـــرُ
إذا جئـتَ فـامنحْ طـرفَ عينيـكَ غيرَنـا لكـيْ يحسَـبُوا أن الهـوّى حيـثُ تبصِـرُ

لقد أدرك الأوائل هذه الميزة الحوارية في شعر عمر وأبدوا إعجابهم بها، حتى روى الأصفهاني عن أحد شيوخه في إطار الموازنة بين بعض قصائد عمر وقصائد جميل بثينة قوله: " ولو أن جميلاً خاطب في قصيدته مخاطبة عمر لأرتج عليه وعثر كلامه " . إن مراجعة ديوان عمر توقفنا على الكثير من المشاهد التي تؤكد اعتداد عمر بشخصيته بطريقة مباشرة قوية ، حيث يعبر عن هذا الاعتداد ) وربما الإعجاب ( في المواجهة مع المرأة أثناء الحوار ، الأمر الذي دعا النقاد قديماً وحديثاً إلى أن يعدوه شاعراً تحول من عاشق إلى معشوق ، وهو ما يعد جديداً في تاريخ الغزل في الشعر العربي.

ويلاحظ على القصيدة العمرية ، في أغلب المواضع ، طول مشهد الحوار ، وتعدد الشخصيات وتنوع الأحداث ، وكذلك قَصْر الحوار ، على شخصيتين ، في حين تسعى الشخصيات الأخرى إلى

المشاركة لأنها ذات أدوار ثانوية تؤديها بشكل جماعي ، وهذا من ضرورات الفن القصصي شعرياً كان أم نثريا.

**2- مدرسة الغزل العذري:**

**مفهوم الغزل العذري:**

يعد الغزل العذري من الفنون الشعرية ذات الطابع الوجدانى، وقد حفلت كتب تاريخ الأدب العربي القديم بقصائد كثيرة، لشعراء تركوا بصماتهم في تاريخ هذا الفن. وقد حظي الغزل العذري-كمصطلح نقدي- بتعريفات متعددة، نذكر منها ما جاء عند الدكتور شكري فيصل، بقوله:"فهو المظهر الفني للعواطف المتعففة والملتهبة في آن معا، والتي وجدت أن هذا التعويض الفني هو خير ما تطفئ به لهبها وتسامي له غرائزها"[1]. وللدكتور شوقي ضيف تعريف لشعر الغزل جاء فيه:" الغزل العذرى غزل نقى طاهر ممعن فى النقاء والطهارة، وقد نسب إلى بنى عذرة إحدى قبائل قضاعة التى كانت تنزل فى وادى القرى شمالى الحجاز، لأن شعراءها أكثروا من التغنّى به ونظمه"[2].

ويرى شوقي ضيف أن الغزل العذري أو العفيف لم يقتصر على قبيلة عذرة وحدها بل هناك قبائل أخرى، فقال: "ولم تقف موجة الغزل العذرى لهذا العصر عند عذرة وحدها، فقد شاع فى بوادى نجد والحجاز، وخاصة بين بنى عامر، حتى ليصبح ظاهرة عامة تحتاج إلى تفسير، ولا شك فى أن تفسيرها يرجع إلى الإسلام الذى طهر النفوس، وبرّأها من كل إثم. وكانت نفوسا ساذجة لم تعرف الحياة المتحضرة فى مكة والمدينة ولا ما يطوى فيها من لهو وعبث ومن تحلل أحيانا من قوانين الخلق الفاضل على نحو ما مرّ بنا عند الأحوص والعرجى، وهى من أجل ذلك لم تعرف الحب الحضرى المترف ولا الحب الذى تدفع إليه الغرائز، فقد كانت تعصمها بداوتها وتديّنها بالإسلام الحنيف ومثاليته السامية من مثل هذين اللونين من الحب، إنما تعرف الحب العفيف السامى الذى يصلى المحب بناره ويستقر بين أحشائه، حتى ليصبح كأنه محنة أو داء لا يستطيع التخلص منه ولا الانصراف عنه " [3]

ويعرفه الدكتور أحمد محمد الحوفي، بقوله:" أريد بالغزل العذري هذا الضرب من الغزل الذي تشيع فيه حرارة العاطفة، وتشيع منه الأشواق ويصور خلجات النفس وفرحات اللقاء وآلام الفراق، ولا يحفل بجمال المحبوبة الجسدي بقدر ما يحفل بجاذبيتها وسحر نظرتها وقوة أسرها، ثم يقتصر فيه الشاعر على محبوبة واحدة طيلة حياته أو ردحا طويلا من حياته"[4]. وعن نشأة الغزل العذري، يروي أن بداية

---

[1]- شكري فيصل: تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، من امرؤ القيس إلى ابن أبي ربيعة، ط05، دار الملايين، بيروت، 1996، ص237 .

[2]- شوقي ضيف: كتاب تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، ط7، دار المعارف بمصر،1963، ج02، ص 359.

[3]- شوقي ضيف: كتاب تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، ج02، ص 359.

[4]- أحمد محمد الحوفي: الغزل في العصر الجاهلى، ط01، مكتبة نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص151.

الحب العذري كانت عبارة عن شجار دار بين "جميل وبثينة"، في زادي "بغيض"، كما يروي الشاعر جميل في قوله: [1]

**وأول مـــا قـــاد المـــودة بيننـــا بـــوادي بغـــيض يـــا بثـــين ســـباب**

**وقلنـــا لهـــا قـــولا فجـــاءت بمثلـــه لكـــل كـــلام يـــا بثـــين جـــواب**

ويروى الدكتور يوسف بكار عن تسمية "الغزل العذري" أنه:" نسبة إلى قبيلة عذرة التي اشتهرت بكثرة عشاقها ممن عرفوا بالعفة في عشقهم، والتسمية لا تعني أن كل شعراء هذا الغزل من عذرة، لأنه كان يشيع في بوادي نجد والحجاز، وفي بني عامر خاصة، وأقدم محب عرفه الرواة في العصر الأموي هو عروة بن حزام صاحب عفراء مخضرم الجاهلية والإسلام"[2]. فعن عروة بن الزبير" قال: قلت لعُذرى: إنكم أرق الناس قلوبًا؛ يريد أصباهم إلى الحب، فقال: نعم لقد تركت ثلاثين شابا خامرهم السل، ما بهم داء إلا الحب"[3].

---

[1]– أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، تح إحسان عباس، وآخرون، ط01، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،2002،ج08 ، ص71.

[2]– يوسف بكار: في الشعر العربي القديم، ط01، دار البيروني للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص84.

[3]– داوود بن عمر الأنطاكي: تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق،تح أيمن عبد الجابر البحيري، دار البيان العربي، القاهرة، مصر،ج01، ص 44.